

في نور محمّد فاطمة الزهراء

ويستلهم مشاعره نحوهم، فإذا هي خلاصة حنان أُمومة افتقدتها في طفولتها الزهراء، قد اجتمعت إلى حنان أبوة ثاكلة انفرط حظّها من ذكورة الأبناء. فربّما كان يقوم على أُولئك الصغار، يتسقط ما يريدون وما يشتهون فيقضيه والأبوان قاعدان أو نائمان بل كان أسبق حساً ويداً إليهم من أبويهم إلى ما يحسّون أو يرغبون. وربّما كان يدور عليهم، متعسّساً [1601] متفقّداً، وقلبه على كفّيه، في أيّة ساعة من ليل أو أُخرى من نهار سبغت الظلمة أو تنفّس النور، بل كانت اللحظة من يومه لا تدخل عنده في حساب الزمان إن لم يلتفّوا حوله زهرات فوّاحة العطر، وبسمات رطيبة السنا، ونبضات عذبة الإيقاع. وكانت فاطمة تعترّ بهذه الأبوة الكبيرة التي تفيض عليها وعلى بنيتها بإشراق نفسي يملأهم بالحنان والحبّ ودفع الحياة، فتوليها مكانةً تعلو بها فوق الأبوة الصغيرة المتمثّلة فيها وفي الإمام. وكان يسعدها وهي تداعبهم وتهدهد طفولتهم أن تهزّ فتنسبهم في هزجها لأبوة الرسول، وكانت تأخذ بكفّيّ الحسن أو الحسين في كفّيهما وتقيمه على قدميه، وترقّصه وهي تغنيه: وا بأبي شبه النبي! *** لست شبيهاً بعلي * * * وعلمت عن فاطمة بلاغة يتشكّك فيها بعض من يريد التشكيك، لكن رغبة الاستراة عند هذا المستريب لم تكن لتنال شيئاً من قوة الحقائق الثابتة، ولا أن تطمس نضاعة الوقائع التي لم يختلف عليها التاريخ [1602].